الباب الثاني عشر

في ذكر نيران العرب في الجاهلية

وهي أربعة عشر نارًا:

الأولى: نار المزدلفة، وهي نار توقد بالمزدلفة ليراها من دفع من عرفة وأول من أوقدها قصي بن كلاب.

الثانية: نار الاستمطار، كانوا في الجاهلية إذا احتبس المطر عنهم جمعوا البقر وعقدوا في أذنابها وعراقيبها والسلع والعشر ثم يصعدون بها في الجبل الوعر ويشعلون فيها النار، ويزعمون أن ذلك من أسباب المطر، وقال في القاموس والتسليع في الجاهلية كانوا إذا أستنوا علقوا السلع مع العشر بثيران الوحش وحدروها من الجبال واشتعلوا في ذلك السلع والعشر النار يستمطرون بذلك انتهى.

الثالثة: نار التحالف، كان أهل الجاهلية إذا أرادوا عقد حلف أوقدوا النار وعقد الحلف عندها ويزعمون أن من نقض العهد منع خيرها، قال أبو هلال

العسكري: وإنما كان يخصون النار بذلك؛ لأن منفعتها تختص بالإنسان لا يشاركه فيها غيره من الحيوان.

الرابع: نار الطرد، فإنهم كانوا أوقدوها خلف من مضى ولا يحبون رجوعه.

الخامسة: نار الأهبة للحرب، كانوا إذا أرادوا حربًا أو توقعوا جيشًا أوقدوا نارًا على جبل ليبلغ الخبر أصحابهم فيأتونهم وأول من أوقد هذه النار بنو طيئ.

السادس: نار الحرتين، كانت في بلاد عبس تخرج من الأرض فإذا كان الليل فيه نار تسطع وفي النهار دخان يرتفع وربما بدر منها عنق فأحرق من مرَّ بها فدفنها خالد بن سنان النبي فكانت معجزة له.

السابعة: نار السعالي، وهي نار ترتفع للمتقفر والمتقرب فيتبعها فتهوى به الغول على زعمهم.

الثامنة: نار الصيد، وهي نار تقود للظباء لتعشى إذا نظرت إليها.

التاسعة: نار الأسد، وهي نار يوقدونها إذا خافوا الأسد؛ لينفر عنه فإن من شأنه النفار من النار؛ لأنه إذا رأى النار استهالها وفزع منها، وقيل: إنه إذا رأى النار حدث له نكر صده عن قصده.

العاشرة: نار القرى، وهي نار توقد ليلًا ليراها الأضياف فيهتدوا بها.

الحادية عشر: نار السليم، وهم الملدوغ كانوا يوقدون النار للملدوغ إذا لدغ يساهرونه بها وكذلك المجروح إذا نزف دمه، والمضروب بالسياط ومن عضه الكلب؛ لئلا يناموا فيشتد بهم الأمر حتى يؤديهم إلى الهلكة.

الثانية عشر: نار الفداء، كان الملوك منهم إذا سبوا نساء قبيلة خرجت إليهم السادة للفداء والاستيهاب فيكرهون أن يعرضوا النساء نهارًا فيفتضحن أو في الظلمة فيخفى قدر ما يحسبون لأنفسهم من الصفي فيوقدون النار لعرضهن.

الثالثة عشر: نار الوسم، وهي النار التي يسم بها الرجل منهم خليه وإبله فيقال: ما سمة إبلك؟ فيقول: كذا.

الرابعة عشر: نار الحباحب، وهي كل نار لا أصل لها مثل ما ينقدح بين نعال الدواب وأمثالها.

الباب الثاني عشر

في ذكر أسواق العرب المعروفة فيما قبل الإسلام

قد كان للعرب في الجاهلية أسواق يقيمونها في شهور السنة وينتقلون من بعضها إلى بعض ويحضرها سائر العرب من قرب منهم ومن بعد فكانوا ينزلون دومة الجندل أول يوم من ربيع الأول يجتمعون في أسواقها بالبيع والشراء والأخذ والعطاء وكان يشعوهم أكيدر دومة الجندل أول يوم وربما غلب على السوق بنو كلب فيعشوهم بعض رؤساء كلب فيقوم سوقهم إلى آخر الشهر ثم ينتقلون إلى سوق هجر في شهر ربيع الآخر فيقوم سوقهم بها وكان يعشوهم المنذر بن ساوى أحد بني عبد الله بن درام ثم يرتحلون نحو عمان بالبحرين فيقوم سوقهم بها ثم يرتحلون فينزلون أدم وقرى الشحر فيقوم أسواقهم بها أيام ثم يرتحلون فينزلون عدن أبين فيقوم سوقهم بها فتُشْتَرَى التجارات وأنواع الطيب ثم يرتحلون فينزلون الرابية من حضرموت ومنهم من يجوزها فيرد صنعاء ثم تقوم أسواقهم بها، ومنها كان يجلب الأدم والبرود وكانت تجلب إليها من معافر ويرتحلون إلى عكاظ وهو سوق بصحراء بين نخلة والطائف فينزلون به في أول ذي العقدة فتقوم أسواقهم وتجتمع

قبائل العرب فيتعاكظون أي يتفاخرون ويتناشدون الأشعار ويتحاجون، ومن له أسير سعى في فدائه، ومن له حكومة ارتفع إلى الذي يقوم بأمر الحكومة، وكان الذي يقوم بأمر الحكومة هناك من بني تميم، وكان أحدهم الأقرع بن حابس، وتستمر أسواقهم في عكاظ عشرين يومًا ثم يتوجَّهون إلى مكة فيقفون بعرفة ويقضون مناسك الحج ويرجعون إلى أوطانهم.

وصلى الله على خير من خلقه محمد وعلى آله وصحبه وسلم

صلاة وسلامًا دائمين مستمرين إلى يوم الدين،

والحمد لله رب العالمين

قال مؤلفه رحمه الله تعالى: نجز تحريره يوم الجمعة اليوم السادس من العشر الثاني من الشهر العاشر من السنة التاسعة من العقد الثالث

من القرن الثالث عشر من الهجرة النبوية

على صاحبها أفضل الصلاة وأكمل التحية.

آمين...